

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

الأستاذة الدكتورة: ليلي لعوير

عنوان الملتقى: المدخل السياقي في الحديث النبوي الشريف أسسه النظرية

وتطبيقاته عند أعلام الجزائر وتونس

عنوان المداخلة: استلهام الحديث النبوي الشريف في مدح: 'مما يمدح عند الغمة

والغيايب المدلومة' لعبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني (ت1073هـ/1662م)'.  
.

## الملخص:

تحاول هذه المداخلة الانفتاح على مدونة مدحية نبوية للشيخ الشاعر عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني المتوفى 1073هـ-1662م، والمسماة: **مما يمدح عند الغمة والغيايب المدلهمة**، وهي من المدونات المخطوطة المغمورة في التراث الأدبي الجزائري، وقد رأت النور بعد أن حققها مؤخرًا الأستاذ الجزائري الدكتور أحمد فرقاني الذي أبرز قيمتها الشعرية وقيمة مؤلفها الذي يعتبر من أشهر أعلام عصره الذين لم يلتف الدارسون لمنجزاته بالتعريف والقراءة والنقد على كثرتها. وبالتالي رأت هذه المداخلة الكشف عنها و عن جمالياتها من زاوية استلهام الشيخ الشاعر عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني للحديث النبوي الشريف من خلال سياقاته المفتحة على الرؤية الإسلامية بأبعادها الروحية والجمالية وإشاراته التي يتوسدها متكاً، لكل بلاغة معنوية أو لفظية جعلت المدحية واحدة زمانها في الجزائر .

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful

Emir AbdulKader University of Islamic Sciences

Faculty of Arts and Islamic Civilization

Department of Arabic Language

Professor Dr. Leila Laouir

**Conference Title: The Contextual Introduction to the Noble Prophet's Hadith; Its Theoretical Foundations and Its Applications among the Scholars of Algeria and Tunisia.**

**Conference Participation Title: Inspiration from the Noble Prophet's Hadith in Praise: 'What is Praised in the Time of Grief and Thick Darkness. 'By Abd al-Karim bin Muhammad al-Fakun al-Qasantini (d. 1073 AH/1662 AD).'**

### **Abstract:**

This study attempts to be open to a prophetic eulogy by the poet Sheikh Abd al-Karim bin Muhammad al-Fakun al-Qasantini, who died in 1073 AH/1662 AD, that is called: **What is Praised in the Time of Grief and Thick Darkness** . It is one of the unfamous manuscript corpuses in the Algerian literary heritage. It saw the light after it was recently checked out by Professor Dr. Ahmed Fergani, who highlighted its poetic value and the value of its author. Though the poet was considered one of the most famous figures of his time, scholars did not pay attention to his achievements through defining, reading, and criticizing despite their abundance. Therefore, this study seeks to reveal its aesthetics from the angle of the inspiration of the poet Sheikh Abdul Karim bin Muhammad Al-Fakon Al-Qasantini from the noble Prophetic hadith through the eulogy's contexts that are open to the Islamic vision with its spiritual and aesthetic dimensions and its connotations for every moral or verbal eloquence that made the praise the One of its time in Algeria.

## مقدمة:

إن القصائد الجزائرية في مدح خير البرية محمد  $\rho$  كثيرة ومبثوثة في متون مختلفة، عشنا عمرا علميا طويلا لم نلتفت لها، ولم نلتف كباحثين حولها برغم عظم الممدوح، كنموذج كامل ومكانته في الضمير الجمعي الإسلامي، الذي اعترف بمقامه المحمود ودعا الله أن يؤته إياه في يومه الموعود.

عشنا نقرأ لكعب بن زهير، وحسان بن ثابت وأم سعدونة والبوصيري وصفني الدين الحلي وابن جابر وعائشة الباعونية وأحمد شوقي ..... وغيرهم كثير، في امتدادات المديح النبوي، وأغفلنا حين ثراتنا الجزائري الزاخر بقصائد الحب والوجد والشوق التي مدحت سيدنا محمدا  $\rho$  وأشادت بصفاته وأخلاقه وسيرته العطرة، وكانت لآلئ نادرة تجاذبتها أقلام شعراء هم قناديل ظل لا نعرف أكثرهم ويحتاجون إلى الخروج بروائعهم في أحسن صورة وأوضح معلم ك: أحمد بن عبد الله الزواوي، أحمد المانجلاتي وعمار بن عبد الرحمان، ومحمد بن محمد بن علي ومحمد بن الشاهد ومحمد بن محمود ابن العنابي الجزائري ومحمد بن الحفاف وأحمد بن إبراهيم البابوجي وعبد الحليم بن سماية وشعيب أبي مدين وغيرهم كثير<sup>(1)</sup>. وعبد الكريم الفكون المتوفى 1073هـ/1662م الذي كشف عنه الغطاء، صاحب الجهد العارف الأستاذ المحقق الدكتور محمد فرقاني الذي شرفني بالتقدم لمخطوطته الثمينة في نسختها الوحيدة التي حققها والتي لم تتداول بعد، وكان له السبق في كشفها للناس، حيث ستعرف عبر هذه المداخلة على هذا السفر الشعري الذي خط بحروف من حب في مدح النبي  $\rho$  موسوم ب: "مما يمدح عند الغمة والغيايب المدهمة، فمن يكون عبد الكريم الفكون، وما قصة القصيدة الديوان؟ وكيف استلهم الحديث النبوي الشريف في مدحيته؟

<sup>(1)</sup> - للتوسع انظر مراد بن علي وعمارة: القصائد الجزائرية في محامد خير البشرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، قسنطينة

عاصمة الثقافة العربية ط 1، ج 1 سنة 2015، ص 5

## 1. التعريف بالفقيه الشاعر عبد الكريم الفكون:

هو الشيخ الفقيه العلامة الشاعر سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحيى الفكون، ولد في قسنطينة (988هـ / 1580م)، ينتمي لأعرق وأشهر البيوتات العلمية في مدينة قسنطينة والتي توارث أفرادها -منذ عهد بعيد- المجد والرئاسة والعلم والصلاح<sup>(1)</sup>.

فهي أسرة عريقة، عريقة في النسب والمجد وتعود أصولها إلى القرن السادس الهجري فمن أجداده المتقدمين الفقيه الأديب أبي علي الحسين بن علي بن عمر الفكون القسنطيني (602هـ-1205هـ) صاحب الرحلة المنظومة التي قام بها من بلدته قسنطينة إلى مراكش أواخر القرن السادس الهجري<sup>(2)</sup>، كما أن الأسرة توارثت منصب شيخ الإسلام الذي لم يكن يعني المكانة الدينية للأسرة فقط بل يشمل الوزن السياسي والثقافي، وقد بقي هذا اللقب متوارثا في الأسرة دون غيرها من الأسر القسنطينية إلى غاية الاحتلال الفرنسي<sup>(3)</sup>.

ترجم لعبد الكريم الفكون الغبريني في كتابه "عنوان الدراية" وحلاه بقوله "وهو من الفضلاء وكان رفيع القدر، ومن له الحظوة والاعتبار، وكان له الأدب من باب الزينة والكمال.... وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها ومن كريم أروماتها".

اشتهرت عائلة الفكون بكثرة الأموال والأموال الواسعة التي كانت تنفق في أوجه البر والإحسان، فأصبحت تتمتع بنفوذ كبير خاصة بعد تكليفها برئاسة ركب الحج الجزائري إلى الحجاز مع ما يكسبه هذا المنصب من احترام ومكانة في البلدان الإسلامية، كما كانت للأسرة زاوية تحمل اسمها لاستقبال الضيوف من الفقراء والغرباء، كما لها مدرسة مفتوحة لطلب العلم من كل القطر الجزائري وخارجه<sup>(4)</sup>.

(1) - أبو القاسم الحفناوي، "تعريف الخلف برجال السلف"، (ط.2)، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م، ج1، ص 166.

(2) - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، (ط.1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1988م، ص 38.

(3) - جميلة معاشي، أسرة الفكون -شيوخ الإسلام وشيوخ بلد قسنطينة- من عزّ العثمانيين إلى ذل القسنطينيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع 16، 1435هـ/2019م.

(4) - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص 39.

ومن اشتهر من عائلة الفكون وذاع صيته في الآفاق عبد الكريم الفكون الجدّ (ت 988هـ) والذي كان أوّل من تولى وظيفة الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة - خلال العهد العثماني - وقد ترجم له حفيده عبد الكريم الفكون في كتابه "منشور الهداية" فقال عنه: "كان منشغلا بما يعنيه ديننا ودنيا معتكفا على الإقراء والتدريس وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه وممن يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام، مواظبا على الأذكار والقيام إلى أن مات<sup>(1)</sup>.

وكذلك والده الذي تولى جميع وظائف أبيه من إمامة وخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة وقد توفيّ أثناء رجوعه من الحج في مكان بين الحجاز ومصر (سنة 1045هـ) وكان فقيها صوفيا وربما يرجع إليه في المسائل والإفتاء وكان ذا سمّة وتعقّف وأوراد وقيام الليل<sup>(2)</sup>.

#### أ. مولد الفكون ونشأته:

نشأ في كنف عائلة ذات شرف ونسب وعلم وجاه - كما سبق ذكره - لها مكانة اجتماعية ونفوذ - خلال العهد العثماني - ومرموقة بسمعتها الدينية والعلمية وثروتها الطائلة<sup>(3)</sup>. كان والده هو أول شيوخه فحفظ على يديه القرآن الكريم وتلقّى المبادئ الأولية للعلوم في زاوية العائلة ثمّ عكف على تحصيل مختلف العلوم الشرعية واللغوية حيث تولاه كبار شيوخ عصره أمثال سليمان القشي الذي قرأ عليه شرح الصغرى في العقائد، والأجرومية وبعض أوائل الألفية وأبو عبد الله الفاسي المغربي الذي قرأ عليه بعض الفرائض، ومحمد التواتي المغربي الذي أشاد به الفكون كثيرا ووصفه بأنه: "سيبويه زمانه" وكان التواتي من جهته مسرورا بتلميذه ومعجبا به وبمباحثته معه<sup>(4)</sup>. إضافة إلى أن الفكون كان محبّا للمطالعة وتثقيف نفسه، فكان كثيرا ما يعتكف على القراءة لوحده من مكتبة العائلة الزاخرة بأمهات الكتب،

(1) - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في حال من ادّعى العلم والولاية، (ط.1)، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/1987م، ص 48.

(2) - المصدر نفسه، ص 52.

(3) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ط.1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ج 1، ص 520 ص 521.

(4) - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية، ص 55-60.

والمخطوطات<sup>(1)</sup>.

إذن تلقى الفكون ثقافة علمية فقهية وأدبية وكان على اطلاع واسع بالفقه المالكي، ما أهله لأن يتولى التدريس بالجامع الكبير بقسنطينة -في حياة والده- حيث كان ينوب عنه في غيابه رغم صغر سنّه، حيث ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء فكان بارعا في علوك العربية لغو ونحوا وتصريفا وبلاغة مع الفقه والأصلين الحديث والتصوّف<sup>(2)</sup>.

وبعد وفاة والده خلفه في إمامة الصلاة والخطبة والسهر على أوقاف الجامع الكبير، وهي وظائف تقليدية وراثية في الأسرة، لكن الوظيفة الأساسية -والتي لم يتولاها أحدا من أفراد عائلته من قبل- هي وظيفة أمير ركب الحج والتي احتفظت بها الأسرة إلى غاية سنة 1838م حيث ألغيت من طرف السلطات الاستعمارية بعد ذلك<sup>(3)</sup>.

ومن جهة أخرى، ولأنّ الفكون مارس التدريس في مسجد المدينة وزاوية آل الفكون، فقد تخرّج على يديه علماء كبار أشهرهم أبي مهدي عيسى الثعالبي وأبي سالم العياشي ويحيى الشاوي وبركات بن باديس القسنطيني وعلي بن عثمان الشريف وأحمد بن سيدي عمار وغيرهم<sup>(4)</sup>.

كما ترك آثارا كثيرة تتوزع في مجالات مختلفة كالحديث والفقه واللغة والشعر ومن هذه المؤلفات:

- منشور الهداية في حال من ادّعى العلم والولاية الذي تعرّض فيه لترجمة أكثر من سبعين شخصية وقد ألفه على فترات في شكل مذكرات وفيه معلومات هامة عن الحياة الاجتماعية بقسنطينة.
- كتاب محدّد السنن في نحر إخوان الدّخان (رسالة عاجل فيها مسألة التدخين).
- فتح المالك في شرح ألفية بن مالك

(1) - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص 65.

(2) - بكاري عبد القادر، "منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون من خلال مؤلف: "منشور الهداية في حال من ادّعى العلم والولاية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 1، ع 1، جانفي 2018م، ص 130.

(3) - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ص 101.

(4) - بوحلو حسين، "الشيخ عبد الكريم الفكون وإنتاجه الفكري (988هـ-1073هـ)، مجلة الخلدونية، مج 9، ع 1، ص 65-68.

- الدّرر في شرح المختصر
- البسط والتعريف في علم التصريف
- فتح الهادي في شرح جمل المجرادي
- ديوان الفكّون (وهو ديوان شعر في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم-) <sup>(1)</sup> أو القصيدة الديوان كما سماها المؤرخون والتي هي محط هذه الدراسة
- توفّي عبد الكريم الفكّون عشية الخميس 27 ذي الحجة 1073هـ / 3 أوت 1662م عن عمر يناهز 85 سنة بمدينة قسنطينة.

### بين يدي القصيدة الديوان:

إن القصيدة الديوان هي في الأصل مخطوطة ثمينة في نسختها الوحيدة التي لم تتداول بعد، كتبت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم موسومة ب: "مما يمدح عن الغمة والغياب المدهمة وقد بلغت 725 بيتا وظلت مغمورة ونائمة لقرون، وظل صاحبها المذكور سابقا . على شرف نسبه . مغمورا أيضا يطويه النسيان والكتمان لا سيما عند الأدباء، كما يطوي مدحية أولى بعنوان: شافية الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض، أو العدة في عقب الفرج بعد الشدة هذه الأخيرة التي تجاوزها إلى كتابة القصيدة المخطوط، والتي نصحه وأشار له بها والده توسلا لله بالنبي المصطفى ﷺ طلبا للشفاء الذي طال انتظاره بعد إصابة الشاعر الفكّون بمرض عضال، عظيم الوبال، أقعده عن الحركة ودام ما يقارب ست سنوات تكدرت فيها حياته وحياة أهله .

إن هذه القصيدة التي اعتبرها . ديوانا على وحدة موضوعها أو يمكن أن نسميها القصيدة الديوان . شملت على ما أشار إليه المحقق . تسعا وعشرين قصيدة، وكل قصيدة كتبت بحرف من حروف العربية مع احتساب لام ألف لدى الشاعر، أبايتها القافية وشملت خمسة وعشرين بيتا أبحرت جميعها في مدح

(1) - لمزيد من التوضيح حول مضامين مؤلفاته ينظر: بوخلوة حسين، "الشيخ عبد الكريم الفكّون وإنتاجه الفكري"، ص 68-74.

النبي  $\rho$  توسلا به، وتمجيدا لسيرته ومسيرته وشقّرت بجملة استخرجت من جمع كل الحروف التي تقرأ من أول كل بيت وهي "إلاهي بحق الممدوح اشفني آمين" هذه الجملة التي تتكون هي أيضا من خمس وعشرين حرفا في إشارة عميقة إلى دلالة هذا العدد "25"<sup>(1)</sup> الذي هو من مضاعفات العدد خمسة . المفتوح على تأويلات عدة، ترتبط عند الصوفية في مدّها التخيلي بتغير الحال إلى الأفضل وحماية الله للعبد من كل شر، وقدرته على الصبر في مواجهة مشاكل الحياة، كمخرج تفاؤلي ترصده أوليات الأبيات في كل حرف من كل قصيدة، لتومئ أيضا إلى ذلك الحس الصوفي الذي تحمله لغة الأسرار الصوفية برموزها وإشاراتها وأعدادها وذلك البعد الإيماني المرتبط بالخلوص الكلي لله عز وجل في محبة سيدنا محمد  $\rho$ ، هذا الحب الذي يوجهه المنطق والعقل الباطن بامتلاءات المعرفة القلبية. التي تأبى أن تكشف الأسرار التي تعتقد في ارتباط العدد والحرف بسر الحياة.

إن ما يثير الإعجاب، أن هذه القصيدة الديوان، تفردت بميزة خاصة وهي مدحها للنبي  $\rho$  بحروف العربية التسعة والعشرين . مع احتساب لام ألف، وهذا سبق مدحي ملفت يَنَم عن بعد دلالي عميق يرتبط بلغة الضاد التي تتسع للمديح النبوي وتزيد... وحروفها خالدة بخلوده  $\rho$  في الذاكرة الإنسانية في بعديها الزمني واللازمي . ويشي بالملكة الرياضياتية الرمزية التي يحملها الشيخ الشاعر أبو محمد، عبد الكريم الفكون وهو يتوسل إلى الله . عز وجل . بالنبي  $\rho$  لإجلاء الغمة، غمة المرض وغياهب الظلمة، ظلمة العذاب والألم والمعاناة التي نخرت عميقا في جسده وفي من حوله، . متوسدا بحر الطويل بحرا لقصائده كلها، لاسيما وأنه أعلى البحور درجة في الافتنان وأحفلها بالجلال والرصانة والعمق، على ما أورد حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، فثلث الشعر قديمة ووسيطه وحديثه نظم عليه لمناسبتة مقام الوجد والوله والتأوّه.

وهو يليق بهذا المقام في القصيدة الديوان، المليئة بالوجد والوجد والدلالات الشعورية التي أكسبت

(1) - انظر طارق زينان: الرمزية الحرفية في العرفان الصوفي مجلة الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد 12، ع24، سنة 2019، ص163.

الوزن خصائص وصفات تتوافق وتستجيب لتجربة الشيخ محمد عبد الكريم الفكون المحلقة في سماوات التوسّل والإبداع.

في الحقيقة لقد أبحرني طول نفس الشاعر وانتقالاته الوجدانية الشعورية المحمولة على نفس معذبة، تنقل الوجد حبا للرسول ρ وتوسّلا به، حبا يتسلل بين المعاني والقصائد بإيقاعات الروح التي تطلب الخلاص في ارتقاء روحي متعدّد الصور والمقامات، متنوع الأنفاس والخلجات التي يحسن بها تعليل وتوضيح وإيجاز سرّ البوح وسرّ المدح أيضا.

لقد ذكر تاريخ الأدب العربي<sup>(1)</sup> أن أشهر قصيدة في المدح، انتشرت بين العامة والخاصة هي بردة محمد بن سعيد البوصيري التي أنشأها في القرن 7 هجري، وكانت بردة المشرق بلا منازع، وبداية التأصيل لفن المديح النبوي على ما ذكر زكي مبارك في كتابه المدائح النبوية، وغفلوا عن بردة أخرى جليلة، هي بردة المغرب الأوسط . الجزائر. إن صح لي هذا التوصيف و التي أسكتها صاحبها الشيخ عبد الكريم الفكون . على شهرته في عهده . حين امتنع عن نشرها وأوصى ابنه بذلك برغم إسهاماته الكثيرة في حركة التأليف حيث ترك مجموعة من التأليف لا يفوقه فيها كثرة إلا معاصره أحمد المقرئ صاحب كتاب نفح الطيب كما تنوّعت تأليفه، فشملت الأدب والنحو والاجتماع والدين كما هو مذكور في كتابه منشور الهداية الذي حققه شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله.

والحق أن الجامع بين البردتين . إن صحّ لي هذا التخرّيج . هو اليقين في الله والمحبة للرسول ρ وصفاء الروح وغمة المرض الذي ألمّ بكليهما، فكتبا بروح صوفية راسخة ولغة وجدانية بسيطة غير معقدة، الوجد الحمدي، قصائد خالدة باركها النبي ρ حين تكشّف لكليهما في المنام فرمى على البوصيري برده وأهدى الشيخ الفكون عنوان القصيدة الديوان على ما روى كلاهما وهذا لعمرى بعض من تأثير معنوي صوفي ظاهر، وبعض من أسرار القبول التي تفهم عند الصوفية عبر الذوق والكشف والمكاشفة، وترفض

(1) - الطاهر أحمد مكي: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1 سنة، 1994، ص32.

عند من لا يعتقد في ذلك .

صحيح أنّ مدح النبي P في خطوطه العريضة يدور حول عدة اتجاهات تبدأ من تعظيم أمره، ووضعه في المرتبة العليا بالنسبة لبقية الأنبياء والرسل الكرام والتعبير عن العواطف الخاصة التي يجيش بها صدر الشاعر مع الحديث عن معجزاته، وهو باب مفتوح على مصراعيه وجرى به الخيال إلى أبعد مدى بحسب قول الدكتور أحمد مكي في كتابه مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ولكنه في نفس الشعارين تعداه إلى التوسل بالرسول P لأجل الشفاء، لطفاً بالحال وستراً للمآل في وجد صوفي هائم يتكرر في كل القصائد.

وهو طاغ عند عبد الكريم الفكون، ويكاد يكون الغالب في كل القصائد التي تنتهي بلازمة عمودية تلبس الموضوع العام في المدح وهو التوسل بالنبي P طلباً للشفاء والذي عبرت عنه القصائد الخمس والعشرين وترجمت عنه جملة إلهي بحق الممدوح اشغني آمين التي تتكرر مع كل قصيدة. وقد عمد لتجسيد مضمونه هذا إلى استلهام الحديث النبوي الشريف في نصوصه استلهاماً إشارياً في معظمه ليفتح الآفاق واسعة نحو التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم وبحقائق السيرة النبوية الشريفة وأحداثها ورموزها من جهة، ونحو صبغ النصوص بصبغة فنية جمالية تزيد في تعميق القصائد وتجميلها من جهة أخرى تظهر من خلال نماذج مختارة. تؤثث لهذا الاستلهام وتؤكد فاعليته معنى ومبنى.

### الاستلهام الإشاري للحديث النبوي في المدح: نماذج مختارة

في الحقيقة إن للحديث النبوي الشريف أثر بالغ في المقول الشعري على مر العصور، حيث أن له إعجازيته وقوته الخاصة في التأثير على المتلقي بحكم فصاحته وأبعاده التي تحملها معانيه في بناء الإنسان، فيكفي أنه الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة

ولا زلت به قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم<sup>(1)</sup> ما جعله مصدرا مهما من مصادر التجربة الشعرية لدى عبد الكريم الفكون في مدحيته التي اتكأت على الاستلهام الإشاري باستخدام صياغات وعبارات نبوية تمتزج بنسيج الخطاب الشعري وتتداخل معه لتنتقل وجد الشاعر وتوصيفه للنبي ρ وذكر فضله على باقي الأنبياء ففي قافية الألف التي هي عنوان أول القصيدة يقول:

|                                   |                                          |
|-----------------------------------|------------------------------------------|
| أبدر بدت في الخافقين سعوته        | ونورا به الأكوان أضحت تاللاً             |
| هو الغيث أحيا الأرض بعد مواتها    | وخاتم كل الرسل والله مبدأ <sup>(2)</sup> |
| يرى ذا لواء الحمد في الحشر إذ غدا | مكينا وفي الأهوال للخلق ملجأ             |
| بمولده للأرض فخر على السما        | وحق لها بالفخر وهو المنبأ                |
| حوى ليلة المعراج كل فضيلة         | وأم بها نعم الإمام المبرأ <sup>(3)</sup> |

إن هذه الأبيات كمثّل تتضمن حشداً من المفردات التي تشير إلى الأحاديث النبوية [لواء الحمد، ملجأ، ليلة المعراج، الإمام] ففي قوله:

يرى ذا لواء الحمد في الحشر إذ غدا      مكينا وفي الأهوال للخلق ملجأ<sup>(4)</sup>

إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي: عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ρ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وييدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون

---

(1) - انظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة لجنة التأليف، القاهرة ط1، 1948، ج2، ص1817.

(2) - محمد عبد الكريم الفكون: مما يمدح عند الغمة والغياب المدلّمة، تحقيق أحمد فرقاني، دار رؤية فكرية للنشر والتوزيع ط1، سنة 2023، ص69.

(3) - المصدر نفسه ص70.

(4) - المصدر نفسه ص70.

أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول: إني أذنبت ذنبا أهبطت منه إلى الأرض...<sup>(1)</sup>

وفي قوله:

### حوى ليلة المعراج كل فضيلة وأمّ بها نعم الإمام المبرّأ<sup>(2)</sup>

إشارة إلى صلاة النبي  $\rho$  ليلة الإسراء المعراج بالأنبياء إماما ببيت المقدس فقد جاء في حديث أخرجه ابن السعد عن الواقدي بإسناد جمعي فكان مما ذكر... ورأيت الأنبياء جمعوا لي، فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى فظننت أنه لا بد من أن يكون لهم إماما فقدمني جبريل حتى صليت بين أيديهم<sup>(3)</sup> والشاعر إذ يستلهم هذه الأحاديث فهو يوشي قصيدته بسحر هذه الدلالات على أبياته وهو يتحدث عن ميلاد أكمل نموذج في تاريخ البشرية

وبطريقة الاقتباس الإشاري يستمر الشاعر في مدح النبي  $\rho$  ففي قافية الباء التي ييوح فيها ابن الفكون بحبه وكلفه بالنبي  $\rho$  يتجلى استثناسه الإيحائي الدائم بالحديث النبوي الشريف وإشارته المستمرة لما حدث في الإسراء والمعراج يقول:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| منحناك قربا لا لغيرك مطمع    | إليه وأعطيناك ما كنت تطلب    |
| مناك سراح الطرف متع تطولا    | أزلنا عن الأبصار ما كان يحجب |
| دنوت وحيدا إذ دعيت لحضرة     | بها الأين والآثار تفنى وتذهب |
| حضيت بما حلّيت من خلعة البها | وطوقت فرضا بالمهابة يرقب     |

(1) - رواه الترمذي في سننه جامع الترمذي وهو وارد في كتاب الفضائل باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم برقم 3615، محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، دار التأصيل، مجلد 06، ص 11.

(2) - الديوان ص 70

(3) - رواه النسائي في السنن الكبرى، حديث رقم 11208 وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي حديث رقم 448، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى. تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 2001

## أتيت كلیم الله بعد تردد إليه بتخفيف لما كان يصعب<sup>(1)</sup>

وهو في هذه المرة يشير إلى ما حصل من فرض الصلوات ومروره ρ على كلیم الله موسى عليه السلام وسؤاله لرسولنا عن عودته عما أمر به "فأخبره فمررت على موسى فقال: بما أمرت، قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم / قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فكرر ذلك خمس مرات وفي كل مرة يضع عنه عشر صلوات وفي الخامسة أمر بخمس صلوات فلما عاد طلب منه أن يعود إلى ربه يسأله التخفيف فقال له ρ سألت ربي حتى استحيت ولكني أرض وأسلم قال: فلما جاوزت نادى منادي أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وهو حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس ابن مالك<sup>(2)</sup>

إن مدحیة الشاعر القسنطینی تستشف جمالها من مرویات الأحادیث النبویة دائما ففي قافیة التاء مثلا إشارة إلى ما حصل يوم مولده ρ من رؤية كسرى التي أنبأت بسقوط عروش الكفر في قوله:

|                           |                                                  |
|---------------------------|--------------------------------------------------|
| لمولده الأوثان خرت وأطفئت | لفارس نار الشرك من غير مربة                      |
| مبان لكسرى قد تداعت أذن   | بحيرة غاض الماء من بعد جربة                      |
| معالم كل الكفر قد طمست    | فلا يرى النور إلا من سنا خير طلعت <sup>(3)</sup> |

إن هذه الأبيات الثلاث بملفوظاتها ذات التركيب "لفارس نار، مبان كسرى، بحيرة غاض الماء" حمولات دلالية عن الحديث الذي أخرجه البيهقي " ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرافة

(1) - الديوان ص78.

(2) - رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم 349 ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، مجلد 01، ص 78 أيضا برقم 3887 كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج ، مجلد 05 ، ص 52 و برقم 7517، كتاب التوحيد، باب قوله : وكلم الله موسى تكليما، ص 149. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

(3) - الديوان ص79.

وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود  
خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاده"<sup>(1)</sup>

لقد انتهج ابن الفكون في قوافية التي تعني قصائده، وسماها قوافي قصدا لما فيها من أسرار الرجاء  
في الشفاء، نهج المبحر في عوالم الرسول فهو ينتقل بين القصائد كرحالة في كل مرة ليكشف مباهجه  
ويقدم للمتلقي من جمال سيرته ρ ما يدفع لمحبه التي استغرقت حد الصباة يقول في قافية الثاء:

|                             |                                             |
|-----------------------------|---------------------------------------------|
| أيا حاذي الأضغان مهلا فياني | حليف الضنى والوجد للدم يبعث                 |
| أعاني من الأشواق لوعة لاعج  | لناظر عيني ثم في الروع ينفث                 |
| شقت لأهل الكفر بدرا تقرحا   | فما كان إلا كيف شاءوه يبعث                  |
| فأشبع يا مختار من تمر قبضة  | عيانا لما باركت من كل يغرث                  |
| نطقت وجيزا والفوائد جمه     | وقاتلت بالأملأك من كان يخبث" <sup>(2)</sup> |

إننا نلمس في هذه الأبيات بالاتكاء على ألفاظ مثل "تمر قبضة ونطقت وجيزا الإشارة في الأولى إلى  
معجزة إشباع الجيش من قليل من التمر مرارا منها ما ذكره ابن إسحاق عن حفنة التمر التي ذهبت بها ابنة  
البشير بن سعد أخت النعمان بن بشير وأمرتها أمها أن تذهب بها إلى أبيها وخالها عبد الله بن راحة غداء  
لها فلما مرت برسول الله ρ فأخذه منها ثم صبه فوق ثوب ثم أمر أن يدعى أهل الخندق للغداء فاجتمع أهل  
الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب"<sup>(3)</sup>

أما الثانية "نطقت وجيزا إشارة إلى ما أوتيته النبي من جوامع الكلم قال أبو هريرة: سمعت رسول الله  
ρ يقول: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالعرب وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في

(1) - البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ج1، ص126، 127.

(2) - الديوان ص79.

(3) - ابن هشام: السيرة النبوية: تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،  
مصر ط2، ج2، 1955، ص238.

يدي" (1)

ان الذي نلاحظه على مستوى قوافي /قصائد/ الشاعر ابن الفكون أنها مليئة بالإحالات إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي لا يتسع المقام لذكرها جميعا وهي في عمومها موظفة توظيفا انزياحيا ومصوغة صياغة تتوافق وتتماشى مع تجربته الشعرية الألمية حيث غيّر في البناء اللفظي والأسلوبي عن طريق الاستخدام الإشاري لكلمة أو كلمتين تفجيرا للدلالات والمعاني الكامنة في الحديث النبوي وإغناء لتجربته الشعرية التي وطنت معاني المديح في الشعر الجزائري وأعطت مساحة واسعة لاكتشاف مدى إلمام الشيخ الفكون بالسيرة النبوية دقها وعظيمها ومدى استئناسه لكنوزها التي لا تنفذ.

وبعد فهذا غيض من فيض قصدنا به التعريف بالمدونة وصاحبها وتقديم صورة موجزة عن الكيفية التي استلهم بها الشاعر الحديث النبوي الشريف في مدحيته متجاوزة الاستلهام الصوفي الذي يحتاج وحده لبحث خاص، لعل الظروف تكون مناسبة لخوض ذلك لاسيما وأن هذه الدراسة . في اعتقادي هي أولى الدراسات التي أولت اهتماما بالمدونة، وانفتحت عليها والتي تحتاج إلى بسط وتوسيع ففيها من الموضوعات الفنية والموضوعية بأبعادها الوجدانية ما يجعلها مجالا خصبا لكل دراسة تسعف في الكشف عن مباحج هذه القصيدة الديوان في عالم المديح النبوي الذي رسمت حروفه أقلام جزائرية لها وزنها وحراكها العلمي والإبداعي. الذي نفخر به في كل حين.

---

1. (1) - رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، حديث رقم 2977، مجلد 04، ص 54، وكذلك رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم 523، مجلد 02، ص 64، انظر: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري، صحيح مسلم، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، مجلد 02.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، (ط.1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1406هـ/1988م.
2. بكاري عبد القادر، "منهجية الكتابة التاريخية عند عبد الكريم الفكون من خلال مؤلف: "منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 1، ع 1، جانفي 2018م.
3. بوخلوة حسين، "الشيخ عبد الكريم الفكون وإنتاجه الفكري (988هـ-1073هـ)، مجلة الخلدونية، مج 9، ع 1.
4. أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ج 1.
5. جميلة معاشي، أسرة الفكون - شيوخ الإسلام وشيوخ بلد قسنطينة - من عزّ العثمانيين إلى ذل القسنطينيين، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع 16، 1435هـ/2019م.
6. طارق زينان: الرمزية الحرفية في العرفان الصوفي مجلة الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مجلد12، ع24، 2019.
7. الطاهر أحمد مكّي: مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 1994.
8. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، (ط.1)، تحقيق أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1408هـ/1987م.
9. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة لجنة التأليف، القاهرة ط1، 1948، ج 2.
10. أبو القاسم الحفناوي، "تعريف الخلف برجال السلف"، (ط.2)، مؤسسة الرسالة، 1405هـ/1985م، ج 1.
11. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ط.1)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ج 1.
12. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، بيروت. مجلد01.

13. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، دار التأصيل، مجلد 06.
14. محمد عبد الكريم الفكون: مما يمدح عند الغمة والغياب المدلّمة، تحقيق أحمد فرقاني، دار رؤية فكرية للنشر والتوزيع ط1، 2023.
15. مراد بن علي وعمارة: القصائد الجزائرية في محامد خير البشرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية ط 1، ج 1 سنة 2015.
16. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسبوري، صحيح مسلم، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، مجلد 02.
17. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن الكبرى. تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، القاهرة طبع مؤسسة الرسالة ط1، بيروت، لبنان سنة 2001
18. ابن هشام: السيرة النبوية: تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط 2، ج 2، 1955.